المحاضرة2: مصادر تاريخ العلوم في الغرب الإسلامي
(كتب التراجم والطبقات)

1/ مفهوم التراجم والطبقات لغة واصطلاحا:

الترجمة في اللغة اسم ترجم والجمع ترجمات وتراجم، وترجمة فلان: سيرته وحياته.

واصطلاحا: التراجم من الدرسات التاريخية وتعني تسجيل أعمال ونشاطات مختلف الشخصيات وذلك بتدوين أصلها ونسبها والعلم الذي اشتهرت به ورحلاتها العلمية والشيوخ الذين أخذت عنهم والأحداث التي واكبت حياتها وتاريخ وفاتها، وهو ما يُطلق عليه"علم التراجم" ويكون ذلك حسب العصور والطبقات تبعا للعلوم التي برعوا فيها.

وعليه فالتراجم"الترجمة" هو علم تراجم الرجال والنساء، وتسمى المصنفات التي تهتم بسير حياة الأعلام من الناس عبر العثور المختلفة باسم"كتب التراجم".

أمّا الطبقة لغة فجمعها طبقات، وفي لسان العرب: الطبقة هي عشرون سنة، ويُقال: طبق من النهار وطبق من الليل أي ساعة، وقيل معظمه، والطبقة هي الحال، وكذلك طبقات النّاس أي حالهم في زمن ما، والطبقة أيضا هي المرتبة والدرجة.

واصطلاحا: جماعة من الناس في زمن واحد أو في أزمان مختلفة على مستوى واحد في العلم أو الحرفة أو الصناعة.

وقد ظهر هذا النوع من التاليف أواخر القرن 2هـ/8م ومن أشهر من ألف في هذا المجال الواقدي من خلال كتاب"الطبقات" ومن بعده تلميذه"أبو عبد الله محمد(ت230هـ/845م) صاحب كتاب"الطبقات الكبرى".

2/ مصنفات التراجم والسير بالغرب الإسلامي:

تُعد كتب التراجم والسير والطبقات من المصادر الهامة في التاريخ للحركة العلمية بالغرب الإسلامي لأنها تتناول التعريف بالخلفاء والملوك والأمراء والعلماء والأدباء والفقهاء والمتصوفة والشعراء والفلاسفة وغيرهم، فتهتم بذكر حياتهم الشخصية ومواقفهم واثرهم وتأثيرهم في الحياة، فمثلا تتضمن التراجم:(اسم العلم وتاريخ ومكان ولادته/رحلاته في طلب العلم/مؤلفاته/ووفاته) لهذا يُعد علم التراجم فرع من فروع علم التاريخ.

بدأت عناية المسلمين بهذا العلم بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن يسير، حيث حرص العلماء على حفظ المصدر الثاني للتشريع في الإسلام بعد القرآن وهو الحديث النبوي وصيانته من التحريف والتلفيق من خلال تتبع سلسلة رواته؛ ثمّ تتبع الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وباقي طبقات العلماء خصوصا والنّاس عامة.

ومن أبرز المصنفات بالغرب الإسلامي في علم التراجم والطبقات نجد:

-كتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لأبي الحسن محمد بن عبد السلام الخشني(ت361هـ): وهو أندلسي قرطبي من أهل العلم والفضل فقيه ومحدث، ألف كتابه بطلب من الحكم المستنصر بالله وقد ضمنه العديد من المصادر والوثائق وسجلات القضاء؛ يضم الكتاب208 ترجمة لقضاة قرطبة وعلماء إفريقية.

-كتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل الأندلسي(ت348هـ): هو سليمان بن حسان الأندلسي، المعروف بابن جلجل، طبيب أندلسي قرطبي نبغ أواسط القرن4هـ ترجم عدة مصنفات طبية منها: كتاب الأدوية البسيطة لديسقوريدس اليوناني سنة 340هـ، كما اشتغل كطبيب للخليفة هشام الثاني(354-403هـ/965-1013م)، ويُعتبر ابن جلجل أول أندلسي ألف في هذا التخصص سنة377هـ، وكتابه هذا مرتب على 9طبقات لكل طبقة عنوان، وقد خصص الطبقة الثامنة لأطباء بلاد المغرب والتاسعة لأطباء الأندلس؛ وهو مصدر هام لدراسة الحياة العلمية بالغرب الإسلامي.

-كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم لأبي بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي(ت474هـ): هو مؤرخ من أهل القيروان، ذكر أنه ألف كتابه استجابة لطلب طلبته وجمع فيه تراجم من كان بالقيروان وإفريقية من المتفقهين والأولياء والعباد والمجتهدين، وقد اعتمد فيه على مصادر متنوعة(تاريخ- حديث-فقه- وثائق-مصادر شفوية) ويُقدم الكتاب تراجم وافية أيضا عن الصحابة والتابعين الذين دخلوا بلاد المغرب وطبقات علماء القيروان وإفريقية وما يليها من البلدان وعبادهم ونساكهم.

-**كتاب تاريخ علماء الاندلس للحافظ أبي الوليد عبد الله الأزدي"ابن الفرضي"(ت403هـ)**: يتضمن ترجمة لعلماء من مختلف أنحاء الأندلس من الفتح إلى نهاية القرن 4هـ، رتب الأعلام حسب الحروف الهجائية، ويتميز المصنف بدرجة عالية من الدقة والتحري والإتقان، ذكر فيه العلماء والفقهاء والرواة والحكام من بداية الإمارة إلى فترة المؤيد بن هشام.

-كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي(ت544هـ):الكتاب أرخ لرجالات الفقه المالكي مابين(124-462هـ)، ذكر المؤلف المنهج المتبع في ترتيب مادة الكتاب حيث قسمه إلى فترتين: فترة الاصحاب وفترة الأتباع، ولكل فترة طبقات وقد عرّف بالمشهورين من كل طبقة مرتبا لهم حسب أوطانهم(المدينة- العراق- مصر- إفريقية- المغرب والأندلس) حيث يذكر اسم المترجم، لقبهن نسبه، مولده، شيوخه؛ رواته، فضائله، مناقبه، مرتبته في العلم والرواية وآثاره، وللكتاب أهمية تاريخية وعلمية وأدبية.

-**كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة لأبي العباس أحمد الغبريني(ت704هـ)**: بلغ عدد المترجم لهم 149 شخصية(تراجم للبجائيين والجزائريين وتراجم للأندلسيين المهاجرين إلى بجاية وتراجم الغرباء الوافدين على بجاية، وللكتاب أهمية تاريخية هامة فهو يرسم صورة لمظاهر ازدهار الحركة العلمية والادبية بحاضرة بجاية خلال القرن 7هـ/13م.

ومن المصنفات الاخرى في التراجم والسير نجد ايضاك كتاب الصلة لأبي القاسم بن بشكوال/ وكتاب صلة الصلة لابي جعفر أحمد الغرناطي/ وكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لابي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي/ وكتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي.